أيها المجاهد

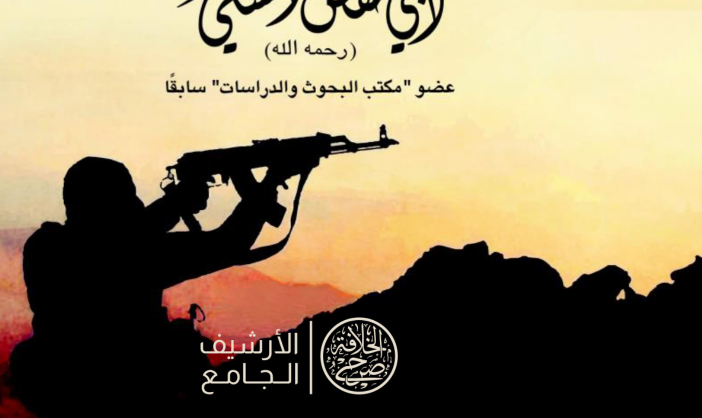
كيف تثبت في الجهاد

لفضيلة الشَّيْخ المُجاهِد

أبي حفْص الشّامي

(رحمه الله)

عضو "مكتب البحوث والدراسات" سابقًا



أيها المجاهد

كيف تثبت في الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المجاهد:

اعلم أنّ طريق الجهاد شاقٌّ وَعِرٌ، محفوفٌ بالـمَكارِه، مليءٌ بالأهوال والمخاطر، ولكن عاقبته تمكين في الدنيا وسعادة، ورِفْعةٌ في الآخرة وجنة.

وإنّ أخطر آفاته أمران:

الأول: الملل من الجهاد وترْك الجماعة والركون إلى الدنيا.

الثاني: الفرار من الزحف.

وكلاهما تَرْكٌ للجهاد وتنكُّبٌ عن الصراط المستقيم، وعاقبته الذل والخسران.

فترك الجماعة والتولِّي عن الجهاد سبيل الجاهلية، وضلال بعد الهداية، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً" [رواه مسلم]

وأما الفرار من الزحف فذلك مِن كبائر الذنوب ويُوجب دخول النار وغضب الجبار، فقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

واعلم أنّ مَنْ قُتل فارًّا فليس بشهيد، وما أعظمَ حرمانه، فاته الفضل، وذهب عنه الأجر، ولم يستفد مِن جهاده إلا النصب وتعريض النفس للأهوال والمخاطر..

ولا شك أن الجهاد عبادة عظيمة وشاقة...

فيها الرؤوس تتطاير...

والأشلاء تتناثر...

وفيها تجشم المشقة والمصاعب...

وتحمل الشدة والمتاعب...

وفيها البعد عن الأهل والأصحاب...

وهجر الأوطان والأحباب...

وفيها ركوب الخطوب والمِحَن...

والتعرّض للبلايا والفتَن...

فعند النسائي وغيره أن رجلا قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلاّ الشهيد قال: "**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**".

ولذلك فلا بد للمجاهد اليَقِظ أن يعرف أسباب الثبات..

حتى يثبت في ساحات النزال وهو يسمع زخات الرصاص...

وصوت القذائف...

وأصوات المدافع...

وقصف الطيران...

• الثبات والتـثبـيت من اللّه:

اعلم أن الثبات من الله سبحانه يُثبت مَن يشاء مِن عباده؛ وليس بجرأة الإنسان وشجاعته، فهو محض فضل الله على العبد...

وهو سبحانه يعطي الثبات لمَنْ عمل بأسباب الثبات وصدَقَ في طلبه، فهلمّ يا اخا الجهاد لِنتدارس سويًّا كيف نثبت في الجهاد.

أولا: لا تــقاتــل من أجل الدنيا:

إن من أعظم أسباب الثبات في الجهاد أن تقاتل في سبيل الله وأن يكون قصدك إعلاء كلمة الله، فإن كان قصدك من الجهاد هو الغنيمة أو السمعة والشهرة أو الزعامة والرياسة، ونحو ذلك، فهذا قتال غير مبارك، لا يقبله الله تعالى ولا يُثيبُ صاحبَه، وصاحب هذا القتال سرعان ما يفر وينهزم لأنه لا يقاتل في سبيل الله، وإنما لِعَرَضٍ زائل، بل هو الخاسر الأكبر إذ فاته بذلك أجر الجهاد وفضله وذهب جهده سدى!! عدا أنه قد يُقتل في أيّ لحظة؛ وحينها فالنار فالنار! كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ

فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ" [رواه مسلم]

ثانيا: النية الصالحة والإخلاص:

إن تحقيق الإخلاص من أعظم ما يُثبِّت المجاهد لأنك تجاهد وأنت ترجو ما عند الله من الثواب العظيم، والمنزلة الرفيعة، وهذا يعطي للمرء عزيمة على الثبات، وسكينة عند القتال.

ومما يدلك على أثر صِدْقِ النية في الثبات ونزول السكينة قول الله عز وجل: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ

إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح: 18-19]

فقوله تعالى: {**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ**} أي من الإخلاص والصدق مع الله، قال ابن الجوزي في تفسيره (4/133): (علم أنهم مُخْلِصون فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ يعني الطُّمأنينة والرِّضى) ا.هـ

وهذا دليل واضح على أن المخلص صادق النية يُعطيه اللهُ سكينة في موطن النزال والقتال، وذلك بسبب صدقه وإخلاصه.

قال صاحب أضواء البيان (7/ 397): (وَالسَّكِينَةُ تَشْمَلُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالسُّكُونَ إِلَى الْحَقِّ وَالثَّبَاتَ وَالشَّجَاعَةَ عِنْدَ الْبَأْسِ). ا.هـ

فيا أخا الجهاد أكثر من النيات الصالحة في جهادك؛ جاهِد امتثالًا لأمر الله، فهذه نية صالحة وإخلاص..

وجاهد لإرجاع حكْم الله إلى الأرض فهذه نية صالحة وإخلاص..

وجاهد نصرة للمستضعفين من المسلمين فالله سبحانه قد أمر بذلك فهذه نية صالحة..

وجاهد لتفوز برضى الله ومغفرته.

فهذه نيات يُثيبك اللهُ عليها ثباتا سكينة.

ثالثا: الإكثار من ذكْرِ اللَّه:

إنّ كثيرا من الناس يغفلون عن أثر الذكْر، مع أنّ ذكْر الله من أكثر ما يُثبِّت المرءَ، فللذِّكْر أثر عجيب في الثبات، فهو يُثبِّت القلب، ويُريح النفس، ويُقوِّي البدن...

وإنّ ثبات البدن يتبع ثبات القلب، فإن ثبت القلب ثبت البدن، وإنّ ثبات القلب يكون باطمئنانه؛ وإنّ اطمئنان القلب يحصل بالذكْر فقد قال تعالى: {ألا بذكْر الله تطمئن القلوب}،

قال بعض السلف كما نقل القرطبي في تفسيره (9/ 315): (أَيْ وَهُمْ تَطْمَئِنُّ قلوبهم على الدوام بذكر الله بألسنتهم). ا.هـ

فإذا اطمئنّ القلب بذكْر الله يثبت البدن ويصبح حينها أقوى على القتال وتحمّل الصعاب، ولذلك نجد أنّ الله أمر المؤمنين بالإكثار مِن ذِكْره عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: 45]

فإياك أيها المجاهد أن تغفل عن الإكثار من ذكْرِ الله، فقد جعل الله ذلك من أسباب الثبات والفلاح والنصر، فلا تُفرط أيها المجاهد بأذكار الصباح والمساء، فهي

حِصْنٌ حصين، فكم من مجاهد وقع في الأسْر لما نسي أذكار الصباح والمساء... وكذلك اجعل لنفسك وردا من التسبيح والتهليل والتكبير، وأكثر من الاستغفار فله أثر عظيم، فالذكر والاستغفار من أسباب النصر والثبات.

رابعا: معرفة فضل الجهاد وأجوره:

فحينما تعرف أجر القتال والجهاد وفضل الرباط والشهادة يُثمر ذلك رغبة في الثبات حتى تفوز بهذا الأجر، ولْيحذر المسلم من الجهل بأجور الجهاد وفضله وفضل الشهادة، فهذا مَدْعاة لترك الجهاد وعدم الصبر عليه؛ كما قال تعالى: {**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**}

فلا بد للمجاهد من الإكثار من القراءة والتدبر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تذكر فضائل الجهاد والرباط والشهادة حتى يتجدد الثبات.

خامسا: الشوق إلى الجنة:

إن الشوق إلى الجنة والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا يجعل الإنسان عظيم الهمة في الثبات على الجهاد، وهذا مِن هدْي النبي صلى الله عليه وسلم في تشويق الصحابة على الجهاد بِذِكْر ما أعده الله للمجاهدين من الثواب، كما فعل صلوات الله وسلامه عليهم في غزوة بدر لما دنا المشركون؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ

بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟" قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. [رواه مسلم]

سادسا: غرس محبة اللّه في القلب:

قال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان (1/ 72):

(قال بعض العارفين مساكين أهل الدينا خرجوا من

الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل: وما أطيب ما فيها قال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وطاعته.

وقال آخر: إنه ليمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: والله ما طابت الدنيا إلا بمحبته وطاعته ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته). ا.هـ

وإنّ تعلُّق المرء بالله ومحبته له سبحانه تجذب القلب وتُحرِّكه لطلب محبوبه والسعي لنيل رضاه، واستعذاب العذاب في ذات الله سبحانه، فيسهل عليه تحمُّل المشاقّ محبةً لله وامتثالًا لأمره سبحانه، وحينها

يكون ثبات المجاهد المُحِبّ قويا بإذن الله لأن كل حركة أصلها المحبة والإرادة.

فلا بد للمجاهد من التشوّق إلى الله وأن يسعى لأن يكون محبوبًا لإلٰهه ومعبوده جل في علاه؛ فيزداد الشوق له سبحانه، ويتمُّ الثبات.

ويكفي المجاهد أن يعلم أنّ محبة الله هي من الغاية التي خُلِقنَا من أجلها، فأصل التوحيد والعبادة هي الحب مع الذل لله.

بل إنّ العلاقة بين المحبة والجهاد فيها نوع تلازم، قال الله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}

ومَنْ أراد ترسيخ محبة الله في القلب فعليه بتحقيق توحيده وموالاته لله ورسوله والمؤمنين؛ ومعاداته للكفر والكافرين، والجهاد في سبيل الله، وأن يُكْثِر مِن ذِكْر نِعَم الله؛ فمن تذكّر نِعَمَ الله عليه ولطْفه وبِرَّه به يزددْ حبًّا لله وتوكلا عليه وتعلقًا به سبحانه، وينضاف إلى ذلك كله الدعاء كما كان مِن أدعية النبي ﷺ: "وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ" [رواه أحمد والنسائي وابن حبان]

ولذلك لا بد من محبة الله وترسيخ المحبة في القلب، فرغِّب نفسك للقاء الله.

سابعا: معرفة فضل الثبات:

لا بد للمجاهد أن يعرف فضل الثبات، وعاقبة الفرار والنكوص، فذلك أدْعى للتجلّد والصبر، فالثبات عصمة للمؤمن، ومِنّةٌ من الرحمن، وشرف لصاحبه، وباب للنصر، وارتقاء بالنفس البشرية وسموٌّ بها، وسببٌ للفتوحات الربانية، وثباتٌ للأجر.

وأما الفرار والتنكّب عن الجهاد والملل منه فذلك الضلال بعد الهدى، والخذلان بعد التوفيق، والركون إلى الدنيا، والانحطاط بالنفس إلى عالم الأوحال...

ثم إن الثابت على الجهاد يفتح الله له فتوحات عظيمة لا تخطر بباله في دينه ودنياه، وهؤلاء الصحابة لما ثبتوا فتح الله لهم ومكنهم في الأرض.

ثامنا: الدعاء:

فقد أمر الله بالدعاء ووعد بالإجابة، قال سبحانه:
{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60]

فمن أراد الثبات فلا بد له من الالتجأء إلى الله ودعائه والافتقار إليه سبحانه، وأما اعتماد المرء على ثباته ورباطة جأشه فذلك عنوان الخذلان والانتكاس.

إِذَا لم يَكُنْ عَونٌ مِنَ اللهِ لِلفَتَى

فَأَوّلُ مَا يَجنِي عَلَيهِ اجتِهَادُهُ

وإنّ سؤال الله الثبات هو هدْي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما دعا إبراهيم عليه السلام: {**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**}

وكما في دعاء يوسف عليه السلام: {**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**}.

وكما روى الترمذي وغيره عن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي

عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: "يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ".

فأكثر أيها المجاهد من قول: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} [آل عمران: 8]...

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك...

اللّٰهم إني أسألك الثبات...

اللّٰهم إني أعوذ بك من الفرار.

تاسعا: فعل الطاعات وهجْر المعاصي

إنّ طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لها تأثيرٌ عظيمٌ في التثبيت والثبات، وقد جعل اللهُ الطاعةَ من أسباب الثبات كما قال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} [النساء: 66]

قال البغوي في تفسيره (1/ 658): (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ يؤمرون بِهِ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَالرِّضَى بِحُكْمِهِ، لَكانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا). ا.هـ

ولذلك فمن يعاني مِن التضعضع وهلع القلب حين القتال فعليه بالقيام بالواجبات، وترك المحرمات وتطهير قلبه من الحسد والرياء والكبر والأثرة، قال الله

تَعَالَى: {فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ}.

ولْيحْذر المرء مِن أن يُسلَب الثبات بسبب ذنب يقترفه، فاحذر أيها المجاهد من التفريط في الواجبات، واجْتنبِ المحرمات، وإياك والغيبة والنميمة، واحذر مِن عدم السمع والطاعة بالمعروف.

عاشرا: الوفاء بالبيعة ولزوم الجماعة

إن من أعظم أسباب الثبات لزوم الجماعة والوفاء بالبيعة والصبر على الأَثَرَة، قال الله عز وجل: {**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ**...} [الفتح: 18-19]

فبسبب إخلاصهم وصِدْقِهم في الوفاء بالبيعة ثبتهم الله وأنزل عليهم السكينة.

وإن الاختلاف والتنازع وعدم السمع والطاعة بالمعروف لهو من أعظم أسباب تفرق المسلمين وفشلهم

وعدم ثباتهم، قال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: 46]

وإنّ ترك الجماعة ونكث البيعة هي عنوان الانتكاس، واتباعٌ لسبيل الجاهلية، ومرافقةٌ للشيطان، وولوجٌ في الفتنة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ، وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَحَتَّى يَشْهَدَ وَلَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا شَيْطَانٌ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ

فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتَهُ حَسَنَتْهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ" [رواه الترمذي والنسائي]

وعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قال: "... وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ في سبيل الله فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاّ أَنْ يَرْجِعَ..." [رواه أحمد وابن حبان والترمذي وصححه]

الحادي عشر: اليــقــين بــوعــد اللَّه والحذر من الإرجاف

إن من أسباب السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ الحذر من إرجاف المخذِّلين، وشائعات الرعاع والمجرمين، وعلى المؤمن أن لا يُصغي للإرجاف والشائعة، قال الله تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب: 18]

وَقَدْ حَذَّرَ الله سبحانه مِنَ السَّمَاعِ لِهَؤُلَاءِ، قال تَعَالَى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة: 47]

فإنّ الإصغاء إليهم موهن للقلوب، ويفتُّ من عضد المجاهدين، وما هذا إلا مِن نفثات إبليس لتخويف المؤمنين، قال سبحانه: {**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**} [آل عمران: 175]

فالمؤمن الفَطِنُ لا ينظر إلى جوانب الإحباط والعثرات في مسيرة جهاده إلا على وجه استخلاصِ العِبَر منها، بل يشهد المؤمنُ بنور قلبه لُطْفَ الله ومعيّته لأوليائه، ونصرَه لجنده وتسديده لهم، وهو بإذن الله ما بين عزٍّ وشهادة وتمكين وريادة، لا يهمه إرجاف، ولا يُثنيه تخذيل، ماضٍ في دربه، أنيسه قول الله سبحانه: {**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**} [التوبة: 59]

وحديث النبي ﷺ لابْنِ عَبَّاسٍ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" [رواه أحمد والترمذي وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ]

ثاني عشر: غَــرْسُ التوحيد وترسيخ العقيدة في القلب:

وهذا أعظم الأمور ورأسها، وهو قطب الرحى في الثبات، إذ أنّى للمرء أن يطمئن ويستقر وهو على عقيدة مهزوزة تعلوها الشبهات وتحيط بها الظنون؛ وتهتز لأدنى استشكال!!

ولن ينعم المرء بالثبات إلا بثبات العقيدة أولًا ورسوخها، وقد سُمي الدين إيمانًا لما فيه من استقرار وطمأنينة وقرار، وأخبَرَ سبحانه بامتنانه على الموحدين بالثبات فقال تعالى: {**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**}[إبراهيم: 27]

وقد شبَّه اللهُ تعالى كلمةَ التوحيد برسوخها وثباتها وقرارها بشجرة النخيل وهي من أعظم الأشجار ثباتًا كما في قوله سبحانه: {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**}. [إبراهيم: 24]

ولذا فلا بد للمجاهد في سيره إلى الله أن يتعلّم التوحيد وأن يتعرَّفَ على الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأن يعقِد قلبه على عقيدة الحكم بما أنزل الله والتحاكم لشرعه، وكذا أن يفقه مسائل الكفر بالطاغوت والولاء والبراء (موالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم، ومعاداة الكافرين وبغضهم والبراءة منهم)، وأن يتعرّف على سبل المجرمين لِيحذَرَهَا ويجتنبها؛ فيعلم كفْر القوانين

الوضعية، وكفْر الديمقراطية، وضلال الانتخابات والبرلمانات، وعليه أن يستبين مسائل الشرك الأخرى ليحذرها ويبرأ منها...

ثم بعد هذا يدرس تفاصيل مسائل الاعتقاد الأخرى كالإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر، ويلتمس الحِكمة في ذلك، ولا ينسى الإيمان بالقدر وتأثيره في سكون النفس وطمأنينة القلب وظهور عبادة الرجاء واليقين.. ثم لا ينسى الموقف من الصحابة وما لذلك مِن عظيم الأثر في الارتباط بأولئك القوم العِظام الذي كان مِن هدْيهم مُدارسة الإيمان والتوحيد كما في حديث جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: " كنا مع النبي

ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانًا" [رواه ابن ماجه]

وقد كان مِن هدي النبي ﷺ أن يأمر بِحفْظ الإيمان والتوحيد كما في حديث وفد عبد القيس حين سألهم النبي ﷺ: "هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ"... قَالَ: "احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ" [متفق عليه]

ولذا فإنّ الفهم عن الله وعن رسول الله ﷺ وترسيخ التوحيد واستقرار العقيدة في القلب يُثمر ثباتا

عظيما وصبرًا ومصابرة، مع طمأنينة وسكينة وحبٍّ لحال الجهاد التي يسمو بها الإنسان ويشهد بها حقيقة لا إله إلا الله.

فيا أيها المجاهد: حينما تقاتل لإرجاع حكْم الله إلى أرضه ولِتسود الشريعة وتعلو في الأمصار...

حينما تقاتل لنشر التوحيد وتحقيق العبودية لله...

حينما تقاتل للقضاء على فتنة الشرك والكفر امتثالًا لأمر الله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال: 39].

حينما تقاتل لِتهدم شرك العصر (القوانين الوضعية الكفرية والانتخابات) وسلفك في ذلك الأنبياء...

حينما تقاتل لِترفع الظلم عن المستضعفين؛ وتنشر العدل في العالمين...

حينما تصبح قدر الله في الطواغيت المجرمين؛ تهد أركانهم، وتنسف شركهم، وتُزلزل عروشهم...

أبشر أيها الموحد المجاهد الثابت فأنت من الذين قال الله فيهم: {**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**} [فاطر: 32]

أبشر بالهداية: {**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**} [العنكبوت: 69]

أبشر فأنت خير الناس وأفضل الناس؛ ومَن ذا الذي فضّلك؟ إنه الله، {**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**} [التوبة: 20]

{**فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**} [النساء: 95]

أبشر فأنت على خطى الأنبياء؛ {**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**} [الأنعام:90]

فأنْعِم بالهداية.

أبشر فأنت بِجهادك إلى الله أقْرب، فأنْعِم بالقُرْب من الرحيم الرحمن.

أبشر بإذن الله بالدرجات في الجنات؛ كما في حديث أبي هريرة قال: قَالَ رسول الله ﷺ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ" [رواه البخاري]

حينما يستحضر المجاهد هذا الأمر العظيم، ولـمَّا ترْسَخْ عقيدة التوحيد وحاكمية الله في القلب...

وحينما يجعلك الله سببًا في إعزاز دينه وعلوِّ شريعته في الأرض...

ولمَّا تستحضر أنك على خطى أنبياء الله؛ فأبشر بالثبات والفضل والأجر.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

ثاني عشر: غَرْسُ التوحيد وترسيخ العقيدة في القلب:34